وكان عالماً فاضلاً متقللاً من الدنيا، ومع ذلك لا يخلو من المآكل الطيبة. (مات) في أول سنة ٧٤٨ ثمانٍ وأربعين وسبعمائة[١].

(١١٧)

(السيد جَعْفَر بن مُطَهّر بن مُحمَّد الجُرْمُوزي)

الرئيس الكاتب الشاعر، ولّاه المُتوكّل على اللَّه إسْماعيل بلاد العدين، وبعد ذلك صار كاتباً مع السيد عبد اللَّه بن يَحْيَى بن مُحمَّد بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم لما استولى على بلاد العدين وغيرها، وكان صاحب الترجمة متشبهاً بالصاحب بن عباد[٢]، وأبي إسْحَاق الصابي[٣]، مكثراً من ذكرهما، حتى في شعره، وما أحسن قوله في ذلك بعد الترشيح الفائق: [من السريع]

تعانقتْ أغصانُ بَانِ النَّقا ... فَشابهَتْ أعْطَافَ أحْبَابي[٤]

وَمُذْ صَبَا قلبي صَبَا صَاحبِي ... آهٍ على الصَّاحبِ والصَّابي

وقوله في المجون وأجاد: [من الطويل]

تَشابَه ذَقْني حينَ شِبْتُ وبَغْلتي ... فَكِلتاهُما في اللونِ أشيبُ أشهبُ[٥]

فَواللَّهِ ما أدري عَلامَ أتيتكُمْ ... عَلَى لِحيتي أم بَغْلتي كنتُ أركبُ

وكانت (وفاته) في حدود سنة ١٠٩٦ ستٍّ وتسعين وألف بالعدين، ووالده هو الجامع لسيرة الإمام القَاسِم بن مُحمَّد وولده المؤيد، السيرة الحافلة المشهورة. وكان له في حرب الأتراك عناية كُلِّيَّة، وولّاه الإمام المُتوكّل على اللَّه إسْمَاعيل عتمة.

(١١٨)

(جَقْمَق الظاهر أبو سَعِيد الجَرْكِسي)[٦]

جلبه إلى مصر الخواجا وهو صغير، ثم اشتراه منه العلاء بن الأتابك، ثم

(١) في النجوم الزاهرة، وطبقات الإسنوي: توفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.

(٢) هو أبو القاسم، إسماعيل بن عباد الطالقاني: وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً وجودة رأي. توفي سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. (الأعلام: ١/ ٣١٦).

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال الحرَّاني، الصابئ: نابغة كُتَّاب جيله، مال إلى الأدب، فتقلد دواوين الرسائل والمظالم في أيام المطيع العباسي، ثم خدم معزّ الدولة الديلمي وغيره. توفي سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م. (الأعلام: ١/ ٧٨).

(٤) الأعطاف: جمع العطف، وهو جانب الجسد من لدن الرأس إلى الورك.

(٥) الأشهب: الذي اختلط سواده ببياضه.

(٦) ترجمته في: الأعلام: ٢/ ١٣١؛ الضوء اللامع: ٣/ ٧٤.

أعتقه. وكلّمه الظاهر في أن يعطيه إياه، فسلَّمه إليه من غير أن يُعلمه بعِتْقه. فدفعه الظاهر لأخيه إينال، ثم صار في الدولة الناصرية أمير عشرة، ثم صار في أيام المؤيد أمير طبلخاناة، ثم جعله خازنداراً[1]، ثم صار بعد المؤيد أحد المقدمين، ثم استقرّ في الحجوبية الكبرى أيام الأشرف بَرْسَباي، ثم نقله في سنة (٨٢٦) إلى الأتابكية، واستمرّ فيها إلى أن مات الأشرف بعد أن أوصاه على ولده المستقر بعده في السلطنة الملقب بالعزيز، فصارت أمور السلطنة كلّها معقودة بصاحب الترجمة، والعزيز إنما هو معه صورة. ثم خلعه بعد أيام يسيرة، وتسلطن في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة (٨٤٢). ثم اتَّفقَ في أوائل سلطنته بعض الكدر إلى أن صفا له الوقت. وقد كان أخبره شخص في سنة (٨٠٤) أنه سيكون صاحب الترجمة سلطاناً، وهو في ذلك الوقت غير منظور بذاك، بل مظهر للوله والتغفيل عن أحوال الناس وتعاطي الأسباب المقللة للهيبة. وكذا بشَّر به قديماً جماعة من الصالحين. واستمر في السلطنة وثبت قدمه. وكان ملكاً عادلاً كثير الصلاة والصوم والعبادة، عفيفاً عن المنكرات والقاذورات، لا يضبط عنه في ذلك زلة ولا تُحفظ له هفوة، مُتقشفاً بحيث لم يَمْشِ على سنن الملوك في كثير من ملبسه وهيئته وجلوسه وحركاته وأفعاله، متواضعاً، يقوم للفقهاء والصالحين إذا دخلوا عليه، ويبالغ في تقريبهم منه، ولا يرتفع في المجلس بحضرتهم. وله إلمام بالعلم واستحضار لبعض المسائل لكثرة تردّد العلماء إليه في حال إمرته ورغبته في الاستفادة منهم، وله كرم زائد بحيث ينسب إلى التبذير، فإنه قد يعطي بعض أهل العلم ألف دينار فصاعداً. وله عناية في إزالة كثير من المنكرات، وإن كانت من شعار السلطنة. وكان كثير الإحسان إلى الأيتام بحيث كان يرسل من يحضرهم إلى حضرته، فيمسح رؤوسهم، ويعطي كل واحد منهم. وأصلح كثيراً من المصالح العامة كالقناطر والجوامع والمدارس، وقرّر لأهل الحرمين رواتب في كل سنة، خصوصاً الفقراء منهم، يُحمل إليهم من مائة دينار وأقل وأكثر، وكثر الدعاء له بذلك. وهادن ملوك الأطراف وهاداهم وتردد إليهم لا عن عجزٍ أو ضعفِ قوةٍ، بل كان يقول: كل ما أفعله مع الملوك لا يفي بنعل الخيل لو أردتُ المسير إليهم، كل ذلك والأقدار تساعده والسعادة تعاضده مع حدة تعتريه في بعض الأحوال، وسرعة بطش، وبادرة مفرطة، والكمال للَّه. وبالجملة فهو من محاسن الملوك في غالب أوصافه. وقد كان كثير التعظيم لأهل العلم، وله معرفة بمقاديرهم، حتى كان يتأسف

(١) الخازندار: كلمة مركبة من «خزانة» العربية، و«دار» الفارسية، وتعني: مُتولِّي الخزانة. قال السبكي: «وحقٌّ عليه ألَّا يُمطل من أُحيلَ إليه، بل يدفع إليه ما أمر له به مُهنِّئاً مُيسِّراً. والخازندار أمينٌ، فلو ادَّعى أنه دفع المال إلى مخدومه كان القول قوله بيمينه، وإن كان له على الخازندارية معلوم أو إقطاع، لأنه الوكيل بِجُعْلٍ». والجعل: الأجرة أو الراتب.

على فقد الحافظ ابن حجر، ويسميه أمير المؤمنين، وهو ممن ظهرت سعادته في مماليكه بحيث تسلطن جماعة منهم. ولم يزل على ملكه إلى أن ابتدأ به المرض، وصار يظهر التجلُّد، لا يمتنع من الكتابة حتى غلب عليه الحال فعجز وانحط ولزم الفراش نحو شهر حتى (مات) بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء ثالث شهر صفر سنة ٨٥٧ سبع وخمسين وثمانمائة. وعهد لولده المنصور بالسلطنة، وقد كان سنُّه عند موته زيادةً على ثمانين سنة، ورآه بعض الصلحاء بعد موته فقال له: ما فعل اللَّه بك؟ فقال: واللَّه لقد أعطانا الملك من قبل أن نردّ عليه، فقال له: ما هو الملك الذي أعطاك إياه؟ قال: الجنة، ثم قال: وجاء جماعة بعدنا ليس لهم فيها وقت ولا مكان.

(١١٩)

(جَلال بن أحمد بن يُوسُف التَّبرِيزيّ المعروف بالتبَّاني)[1]

بمثناة ثم موحدة ثقيلة نسبة إلى التبانة ظاهر القاهرة، قدم القاهرة قبل سنة (٧٥٠) وأخذ عن جماعة من أهلها في فنون عديدة، وبرع في الجميع، مع الدين والخير، وصنّف عدة تصانيف منها «المنظومة» في الفقه، وشرحها في أربعة مجلدات، وشرح المشارق والمنار والتلخيص، واختصر شرح مغلطاي على البخاري. وله مصنف في منع تعدد الجمع، وآخر في أن الإيمان يزيد وينقص. وكان محبّاً للحديث حَسن الاعتقاد شديداً على الاتحادية والمبتدعة. وانتهت إليه رياسة الحنفية. وعُرِض عليه القضاء غير مرَّة فأصرَّ على الامتناع، وقال: هذا أمر يحتاج إلى دراية ومعرفة اصطلاح، ولا يكفي فيه مجرد الاتساع في العلم. و(مات) في ثالث رجب سنة ٧٩٣ ثلاثٍ وتسعين وسبعمائة بالقاهرة عن بضعٍ وستين سنة.

---

(١) ترجمته في: النجوم الزاهرة: ١٢/ ١٢٣؛ كشف الظنون: ٨٤١، ١٢٢١؛ الأعلام: ٢/ ١٣٢؛ الدرر الكامنة: ١/ ٥٤٥؛ شذرات الذهب: ٦/ ٣٢٧؛ بغية الوعاة: ٢١٣؛ معجم المؤلفين: ٣/ ١٥٢.